آراء في قضايا الساعة

محادثات بين الرئيس نهرو والمؤرخ تيبور موند

ترجمة مروان الجابري ـ نشر المكتب التجاري

*

« فائدة هذا الكتاب وقيمته لا ترجع فقط الى ان صاحبه هو الباندیت نهرو المفكر والسياسي الهندي ذو المكانة العالمية بل الى كون الكتاب محاورات ونقاشا لقضايا انسانية وفكرية وسياسية هامة بين نهرو وتيبور موند الفرنسي وهو احد كبار المؤرخين والكتاب السياسيين المعاصرين .

وخليق بنا ان نهتم بالاراء الواردة في هذا الكتاب نحن ابناء الامة العربية اكثر من سوانا اذ تتشابه ظروفنا مع ظروف الهند من حيث ان بعثا جديدا خلاقا يهزها من الاعماق ليعصف بكل رواسب الماضي وليلفظ كل بذرة غريبة وليدفع بها الى مسرح الاحداث الانسانية لاكتابع يلتقط المبادىء والاتجاهات او تفرض عليه فرضا وانما كممثل لتيار اصيل نابع من حاجات الامة وروحيتها .

واننا هنا في هذه المنقطة قد وقفنا على مفترق الطرق مع الشيوعية بعد ان تخلصنا الى حد كبير من الاستعمار والرجعية ! اذ علينا ان نختار بين طريقين للوصول الى المجتمع الاشتراكي ، اما طريق الشيوعية ، طريق الثورة والعنف والانجرار الى الحرب الباردة ، واما طريق الوسائل المشروعة والانسانية الديمقراطية ، والحل الثاني هو ماتبنته جمهوريتنا بقيادة زعيمها وهو نفسه ماتبناه نهرو في كتابه وفي قيادة ثورة الهند السلمية للنهوض بها مع المحافظة على صفتيها القومية والوطنية .

هذا ولا بد ونحن في هذا الصدد ان ناخذ بعين الاعتبار الزيف الذي تكشفت عنه الدعايات التي طلع بها خروتشوف على الناس في بداية بروزه وفي المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي حين ادعى انه يؤمن بالتعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد ، وان كل دولة يجب ان تصل الى اشتراكيتها بطرقها الخاصة وحسب طبيعة قوميتها وظروفها .

لقد ثبت زيف ذلك قطعا بعد تجربة العراق الاخيرة التي تمخضت عن التدخل المباشر السافر للروس في شؤون العراق الداخلية والتبعية الكاملة التي نهجها الحزب الشيوعي العراقي ، وان ذلك كله لم يكن الا لخداع الشعوب ومحاولة السيطرة عليها بطرق ملتوية واكثر مرونة وخداعا ، ومن تجربة العراق ايضا تبين لنا مايمكن ان تؤدي اليه المبادىء المستوردة من الخارج التي تتشكل بمعزل عن جذور الوطن ومشاكله الحقيقية ، انها تؤدي الى التبعية والى انحطاط القيم الاخلاقية واحتقار الانسان للانسان وحقده عليه واضطراب الحياة الاقتصادية وتجميد الفكر ، والتخلي عن المطالب القومية .

اما التجربة في الهند فانها انقلاب سلمي رائع يبني للامة كيانا قوميا واسع الافق ينسجم مع مفاهيم العصر الانسانية ، ومجتمعا اشتراكيا تعاونيا تتحقق فيه العدالة والمساواة والحرية والكل يعلم ان نهرو هو من وراء هذه التجربة الانسانية الاخلاقية ، وبنفس المستوى وعلى قدر كبير من التشابه تنبع تجربتنا القومية الاشتراكية السلمية ومن وراء هذه التجربة الرئيس عبد الناصر .

لطالما انتظرت الهند نداء البطل فدوى فيها نداء نهرو بعد غاندي ، ولطالما انتظر الشعب العربي هذا النداء فدوى صوت زعيمه ، وتلك هي الزعامة الحقيقية التي بامكانها توجيه التاريخ ، زعامة تهيىء اسيا وافريقيا للدور الجديد الذي ستقومان به ، وفيها الفكرة اقوى من الشخصية وهي ستمضي بعد ان انقدحت شرارتها الى اخر مداها ولو تغيرت الشخصيات ، وهذا ماحرص على قوله كلا الزعيمين نهرو وعبد الناصر .

نحن هنا في الشرق ـ اسيا وافريقيا ـ لا نطرح القضية على تلك الصورة المادية التي تطرحها بها الشيوعية والرأسمالية المؤلهة للاقتصاد بل نطرح قضية الانسان كاملة ، الانسان كاهتمام مادي ، وفوق ذلك ، كغاية ، وقيمة ، ومعنى ، وهذا لب تجربتنا والفكرة المحركة لاراء نهرو وفلسفته وسياسته وأسلوبه في الحكم ، لانريد ان نقع فريسة للوحش الالي ولا لتفاهة مفهوم الانسان الاداة ، وهل يمكن للانسان ان يجد معنى حياته ومبرر وجوده والدافع لتمسكه بالحياة في نظرة تحطمه فيها بلادة الالية وكثافة المادة ، وحقد يتعفن فيه القلب !

ليست العدالة ولا وفرة الانتاج غايتين في ذاتهما ـ وهذا سر الخلاف مع الشيوعية والرأسمالية ـ كلا ، انهما وسيلتان لتحرير الانسان الذي هو الغاية الاخيرة ، لتحرير ارادته وروحه من تحكم الانسان والطبيعة ، فرائده آنئذ المحبة لا الحقد ، والسلام لا الحرب ، بحيث تتفتح روحه للخير فيسمو بالاخلاق ، ويرنو قلبه للجمال فتشف نفسه بالفن وتشغفه الحقيقة فيطمئن للمعرفة والعدالة .

كذا انساننا العربي الاشتراكي المنتظر ، وكذا الهندي في رأي نهرو ، وكذا الانسان يجب ان يكون .

لابد ان يتذكر المرء هنا ماقاله « جيورجيو » في رواية « الساعة الخامسة والعشرون » والتي هي من اعظم واعمق ماكتب في الادب الحديث ، يقول الكاتب بصراحة ووضوح انه عندما تتحطم الحضارة المادية

الالية في كلا المعسكرين الشرقي والغربي ـ وهو يعتبرهما من منبت واحد ـ تدق الساعة الخامسة والعشرون دقاتها الرهيبة ، وعند ذاك اين الحل : لامفر من ان يتنسم الانسان العبير من الشرق الذي لم تحطم انسانيته المادية والالية ، القديم قدم الضياء ، والجديد بانبعاثه ويقظته .

هذا . ومن نتاج هذا الشرق كتاب « اراء في قضايا الساعة » وهو يقع في اربع محاورات ، فلنتابع نهرو فيها واحدة ، واحدة ـ مستهدفين النقاط الرئيسية ـ وهو يدافع دفاعه القوي العميق عن فلسفته واسلوبه في الحكم والسياسة .

ـ ١ ـ

يحاول تيبور موند في هذه المحادثة تلمس الملامح والاصول الاولى لشخصية نهرو الفكرية والسياسية وحدوسه البديئة في الحياة ، ومدى تاثره بهنديته وبألهاتما غاندي وبالعقلية الغربية ، والثورة الاشتراكية الروسية :

تيبور موند : « ارجو ان تسمح لي ياسيادة الرئيس ان اكون منهاجيا دقيقا في مباحثاتي معك دون ان ارمي الى ان اكون جلفا قاسيا ، ذلك انني اعتقد بان المرء يستطيع ظاهريا بعد ان يقرأ كتبك ومحاضراتك ان يتدارس تراثك الشخصي من اربع زوايا مختلفة :

١ ـ بالطبع زاوية طفولتك حيث هناك الوسط الهندي وبيتك في الله آباد حيث تلقيت دراستك الاولية وما رافقها من افكار تكونت في نفسك بفعل البيئة والتعليم ثم نفوذ أبيك الهائل عليك .

٢ ـ الصدمة العظمى في حياتك عندما اتصلت بالغرب لاول مرة وعشت في بريطانيا طويلا .

٣ ـ من زاوية مايمكن ان يدعى بتاثراتك بـ « الماركسية » وهي الزاوية التي استعرضت منها جميع الحركات الثورية والاخطار العظمى في الشطر الاول من القرن العشرين .

٤ ـ من زاوية لقائك مع غاندي .

١ ـ وبالنسبة للزاوية الاولى يجيب نهرو عن نشأته الهندية :

« اعتقد ان الهند هي التي جعلتني على مانا عليه ونظرا لانني هندي فقد جعلت الهند ماثلة في ذهني أحملها دوما في قلبي .. واني اقول انني في طفولتي قد عرفت الهند عن طريق أمي ونساء العائلة ، ولقد كان ابي ينتمي الى جيل قاد النضال ضد طبقة المحافظين وضد ذهنيتها : ولقد اشترك ابي في الثورة ضد الكثير من العادات والاعراف الاجتماعية وبالطبع فان ثورته هذه أثرت في طفولتي واعطتها احد الوانها » .

ومن ناحية اخرى فاننا نرى ان نهرو لم يتخل لحظة عن نزعته الصوفية الاصيلة في اعماق ضميره يسأله « موند » : « يبدو ان ظنك في الصوفية الروحية قد خاب حكما معي على ماكتبته » .

فيجيبه « نهرو » : « اجل لقد شعرت بالخيبة لان الصوفية بدت لي تفتقر الى كل فعالية ، ليس لان التعاليم اللاهوتية الصوفية سيئة فهي تنطوي على شطر كبير من الحقيقة ولكن الاشخاص الذين كانوا يديرون المجمع اللاهوتي الصوفي كانوا يبدون انهم يعتبرون انفسهم النخبة المختارة » .

٢ ـ وأما بالنسبة لذلك الجانب من شخصية نهرو من حيث اتصاله بالغرب وبالتيارات الفكرية العالمية فانه لم يتلقها ابدا كاشياء قطعية وصالحة تماما للهند بل اعتبرها تجارب انسانية يجب الاستفادة منها ومن نتائجها مع مراعاة الوضع الخاص لكل شعب . وان الرجال الذين كان يستمع اليهم في الغرب كانوا يهتمون بمجتمعاتهم الخاصة وبايجاد النظم الصالحة التقدمية لها ، اما بالنسبة للشعوب المستعمرة فذلك شيء اخر .

يسأل موند : « عندما كنت تستمع الى رجال كبرنارد شو مثلا او الى الرجال الذين كانوا يمثلون جيل الاشتراكية الرواد ماالذي كان يجذبك اكثر من غيره فيهم ؟ هل كان يجذبك في كلامهم مايدعون اليه من نظام منطقي للمجتمع ام ان ماكان يجذبك في كلامهم هو ان مثالياتهم كانت جوهريا مناهضة للاستعمار ؟ »

« نهرو » : « يجب ان اقول هنا ان الافكار الاشتراكية قد وافتني وانا ادرس في كامبردج ، كانت تلك الافكار تنبثق جزئيا من الحركة الاشتراكية الفابية ـ حركة اشتراكية أسست في انكلترا ومن مؤسسيها ويلز ، وشو، وراسل ـ وجزئيا من الاراء الاشتراكية الاكثر عدوانية من الاراء الفابية... ولست اذكر انه كان في كل ذلك اية « مناهضة للاستعمار » بشكل معين ولا اذكر ان أولئك الناس قد تحدثوا كثيرا عن تلك القضايا وان كنت اذكر انه كان ثمة افراد كانوا يستنكرون ويشجبون الفظائع التي كانت ترتكب في افريقيا والهند او اشياء من هذا القبيل » .

٣ ـ والزاوية الثالثة هي مدى تاثر نهرو بالثورة الروسية وامكان تطبيقها بالهند .

« موند » : « لقد كنت ذلك الحين اذن ـ ايام الثورة الروسية ـ في الله آباد فهل خطر لك امكان تطبيق تعاليم الثورة الروسية على الهند » ؟

« نهرو » : « لقد حملتني على اعتبار السياسة اكثر من اي زمن مضى كوسيلة لادخال التغيرات الاجتماعية لان الثورة الروسية لم تنطو فحسب

من منشورات دار آلاداب

دواوين الشاعر الكبير نزار قباني

انت لي

سامبا

طفولة نهد

قصائد نزار قباني

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

على انتفاضة وطنية او على ثورة ضد الطغيان الفيصري ، انما انطوت على احداث تغيير اجتماعي لمصلحة الشعب اذ جاءت له بقاعدة المساواة . وفي ذلك الوقت لم تكن تقلقني مشاكل الحكم الديمقراطي او الحكم الاستبدادي فهي مشاكل لم تعترضني الا بعد وقت طويل من ذلك » .

« موند » : « ولكن الم تبد تلك الثورة الاجتماعية الناشبة في روسيا كنموذج او على الاقل كأداة يجب دراستها ؟ الم يبد كذلك في انظار افراد ذاك الجيل الذي عايشها ، هذا بالطبع باستثناء الشيوعيين القلائل الذين كانوا في الهند حينذاك » .

« نهرو » : « في ذلك الحين اي في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين دخلنا تجربة السجن الاولى واذا كنت اتحدث عنها فانما افعل لسببين : الاول : لاننا كنا مأخوذين جدا بالنضال الذي كنا نقوم به وكان سنتأثر بكليتنا فما كان هناك من امر خارج نطاق نضالنا يهمنا مباشرة الا على ضوء مدى استطاعتنا الافادة منه اذ نطبقه في الهند ... وبالطبع يجب التذكر بان غاندي لم يكف لحظة عن الدعوة لانصاف المظلومين اجتماعيا ولقد خلق لنفسه طابعا من النضال لانصافهم ليس هو طابع النضال الاشتراكي ولا طابع نضال حرب الطبقات ، كان نهجا خاصا يقوم على انصاف المظلومين المضطهدين وبشكل خاص الفلاحين في الهند ، هذا دون الارتباط بعقائدية موجهة متزمتة » .

٤ ـ والزاوية الرابعة لشخصية نهرو تتعلق بمدى تأثير غاندي عليه :

« موند » : « اننا بهذا نصل الى الفئة الرابعة من تيارات النفوذ التي تفاعلت مع شخصيتك . اننا نريد ان نعرف مدى نفوذ غانديوحركته « الفاندية » عليك ... فالفاندية بدت لي دائما في الشكلين التاليين :

١ ـ مسحة التحرر الوطني .

٢ ـ مسحتها الاجتماعية .

والسؤال الذي أوجهه هو : هل بدت لك الفاندية في تلك الفترة أي في بداية ـ ١٩٢٠ ـ كما لو كانت تنطوي في آن واحد علىاستراتيجية اجتماعية وعلى استراتيجية لتحرير الوطن » .

« نهرو » : « قطعا نعم فقبيل ان يصبح زعيم حركتنا الوطنية كان قد أنهى تدريبه على الزعامة في افريقيا الجنوبية .... ولما عاد بعد ذلك الى الهند زج بنفسه في معمعان نضال الفلاحين من اجل تأمين حقوقهم عندما أثاروا عندنا مشكلة الفلاحين والملاكين الاقطاعيين بشكل مباشر جوبهنا به في مناسبة الخلاف بين الاقطاعيين اصحاب المزارع وبين عمالهم الفلاحين . وهكذا فقد كان هذا الطابع للحركة الفاندية موجودا وقائما منذ البداية واذا كنا ثرنا على لمصالح الاقطاعية الموطدة فاننا لم نفعل ذلك بدافع اشتراكي ولا فعلناه بدافع حرب الطبقات انما جررنا الى محاربته تلك المصالح . وقد يكون من العسير ايضاح الفرق اذ لاينطوي منهاجنا على كوننا نرفض حقيقة حرب الطبقات انما ينطوي على القيام بافناع ودي ، اي بحل المشكلة بالاقناع كرأي ببنيناه لمعالجة المشكلة وهو رأي متصلب اذ انه يرفض كل تسوية وكل حل وسط يبقي المصالح الاقطاعية الموطدة » .

واما بالنسبة لتأثير شخصية غاندي المباشرة على نهرو فقد قال : « لعله مما يدعو الى مزيد من الدهشة ان يكون والدي كذلك قد وقع تحت تأثير غاندي وانه ايد الشطر الاعظم من تعاليم غاندي . ان ماغير والدي شيئا فشيئا ذلك المزيج من الاحترام الذي يكنه لغاندي ومن التسليم بقوة منطقه وسلامة احكامه ورجاحة عقله .هذا بالنسبة لابي ، اما بالنسبة الي فان الامور جرت بشكل مغاير ، كنت اصغر بكثير ولقد استطاع غاندي ان يهزني ويقلب كياني بسرعة » .

ويركز المسألة « موند » فيسأله : « ربما يمكننا اذن القول ان المهاتما غاندي لم يحولك الى شخص روحاني ولكنه نقل اليك تراث منهج معين وأورثك الاحترام الشديد لوسائل معينة ، أورثك الاحترام للمبادىء النظيفة » .

« نهرو » : « اجل ولكنني يجب ان اضيف انه على الرغم من جميع اختلافاتي في الرأي مع غاندي فانني ازددت دوما اقتناعا بانه يمثل قوة ثورية هائلة ، تسير في الاتجاه السوي أي انها قوة تجر الجماهير باجمعها ولا تقنع ببسط سلطانها على نخبة صغيرة مختارة ، وهذا يعني انه يصعب علي ان ارد عليك حين تتحدث عن عملية تحوياي الى شخص روحاني ولكنني اعتقد « بالمعنى الواسع » بانه صبغني بالصبغة الروحية ولكنه ليس بالمعنى الديني الضيق » .

ـ ٢ ـ

هذه المحادثة الثانية ، تدور حول نقطتين رئيسيتين :

الاولى عن موضوع « تحدي الشعوب الناهضة للسيادة الغربية » ، وهل يرمي التحدي الى استبدال هذه السيادة بسيادة من جهة اخرى ؟

والثانية تدور حول المفاضلة بين الوسائل الديمقراطية النظيفةلتحقيق التقدم وبين وسائل العنف والارهاب والقتل والديكتاتورية ، الفردية او الحزبية .

اما بالنسبة للنقطة الاولى فان نهرو يؤمن بان الشعوب الناهضة في اسيا وافريقيا لاتريد ان تتخلص من الاستعمار الغربي لتزج نفسها في تبعية للشيوعية العالمية والشرق ، وانما تريد كل امة ان تتقدم بوسائلها وتتخلص من كل نفوذ خارجي ، فلا تضيع في التيارات الغربية ولا تقحم نفسها في اتون الحرب الباردة .

يسأل تيبور موند :

« لعلنا نستطيع ان نبدأ حديثنا اليوم بالموضوع الذي ربما كان يحتل المقام الاول من اهتمام الدول الغربية الا وهو الموضوع الذي يمكننا تسميته بموضوع « تحدي السيادة الغربية » .. فهل نظن ياسيادة الرئيس ان هذا التحدي لسيادة لغرب يرمي بالضرورة لاستبداله بجهة اخرى ، كما هو الحال عد مايتسبب نزاع بين امة وحكومة لاستبدال الحكومة بحكومة اخرى ؟ »

جواهر لال نهرو :

« من رأيي ان روح العصر الحالي تعارض كل شكل من اشكال التحكم سواء كان تحكما قوميا او اقتصاديا او طبقيا او اجتماعيا ، فهناك معارضة عارمة ذات زخم قوي لذلك التحكم التعسفي ... ان المخلوقات الانسانية تتباين بالطبع عن بعضها بعضا ... وان الجوهر هو ان تتاح لكل انسان فرص متكافئة للتطور والنمو .

« ويبدو لي من غير الصحيح ، ان هذه السيطرة الاوروبية لاتختفي الا لتترك المكان لسيطرة اخرى بحجة ان هناك دورة لاتتناهى من الحروب تذهب بسيطرة لتأتي باخرى . ان الحرب في عصرنا هذا تتبلور رموزها في الطاقة الذرية ، والقنبلة الذرية اصبحت من الخطورة بحيث انها خليقة بان تؤدي بالعالم الى كارثة ذات نطاق هائل . »

والواقع ان الرد العلمي على تساؤل الغرب عن تحدي الشعوب لسيادته، كان في مؤتمر باندونغ ، مؤتمر الشعوب الاسيوية والافريقية وما نتج عنه من مبادىء ومقررات اهمها حق تقرير المصير لكل شعب مهما كان شأنه وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد والحياد والتعايش

السلمي والوقوف في وجه الاستعمار .

« ... بما ان حديثنا يتناول جنوب شرق اسيا فانه يمكننا انتتوقف قليلا عند التاريخ الحديث لنتحدث عن باندونغ ، فهل يمكننا ان نعرف مؤتمر باندونغ بانه صعيد التقى عليه العاملون على رفع المستـــوى الاسيوي أم انه لقاء بين عاملين متأنين وبين عاملين في عجلة من امرهم اجتمعوا ليروا اوجه الفعالية في وسائلهم وليحاولوا مؤالفة هذه العناصر الفعالة في منهاج مشترك وليحاولوا على اساس ذلـك ان يسمعـــوا صوتهـــم للعـالـــم ؟ »

نهـرو :

« نعم ... لقد كانت الدول التي اشتركت في مؤتمر باندونغ مختلفـة كثيرا عن بعضها بعضا .. فقد اشتركت فيه اقطار من اسيا الغربية هي الاقطار العربية واشتركت فيه اقطار افريقية واشتركت فيه دولة شيوعية هي الصين ، كان المؤتمر خليطا بشكل يوجب التساؤل عن العامل المشترك الذي يجمع عناصـــره .

« ان ذلك العامل المشترك هو بالصراحة معارضة السيطرة الاوروبية فكل الناس متفقون على هذه النقطة ، وهناك عامل مشترك اخر هـــو الرغبة في احراز التقدم . لقد احدث المؤتمر هزة جديدة الطابع فـــي الرأي العام الاوروبي والامريكي وكذلك في الرأي العام الاسيوي ، وفيما يتعلق باسيا فقد خلق مؤتمر باندونغ نوعا من شعور التضامن . اما فيما يتعلق باوروبا وامريكا فقد خلق شعورا من القلق الطفيف ، اجل لقـد قلق الاوروبيون والامريكيون لفكرة اجتماع الامم الاسيوية والافريقيـــة واتفاقها على معارضة السيادة التي كانت تزاولها عليها الامم الغربية حتى امـــد قريب . »

وبالنسبة للنقطة الثانية من هذه المحادثة فان نهرو يصرح بان مثلـــه الاقتصادية لا تتناقض مثل الشيوعية الاقتصادية اطلاقا ، وانما يختلـف معهم في طرق الوصول اليها ، فحيث تقول الشيوعية (الغاية تبـــرر الواسطة) وتقبل ديكتاتورية الحزب المطلقة ، وتدعو للثورة الدمويـــة والعنف وحرب الطبقات ، يقول نهرو كلا ، اننا يمكننا الوصول الى غاياتنا بطرق نظيفة ومستقيمة وديموقراطية وبسرعة معقولة ، اننا ضد المنهـج الشيوعي في العمل .

تيبور مونـد :

« اننا لنفاضل هنا بين الثورة الانقلابية وما يرافقها من عنف وقسر واستبداد وبين الديموقراطية البرلمانية البريطانية الكلاسيكية ، ولكنـــني اعتقد بان هناك في منتصف الطريق منعطفا او تقاطع طرق يمكن للمرء منه ان يعمد الى اتباع مناهج اكثر وحدة وشدة دون ان يتخلى عن تعلقه بمبدأ تحقيق التقدم ، التقدم بالتطور ، واذا اختصرت السؤال اقول : هل تستطيع المناهج الديموقراطية ان تخلق الاحوال الشرطية اللازم قيامهـا مسبقا والايلة الى قيام الديموقراطية »؟

« اعتقد انها تستطيع ... اجل هذا ممكن من الممكن تحقيق ذلك ولكن معبعض التحفظات بالطبع .

انني مستعد للاعتراف بان النظام الاستبدادي يتطلب وقتا لتحقيـق التغيرات هو اقل مما يتطلبه النظام الديموقراطي ولكنني لا اظن بـان الفرق بين الوقت المطلوب لكل من النظامين هو من الكبر الذي يتصـوره الناس . ان الفارق زهيد نسبيا .. وانه لمن الممكن ان تتفاعل الحركة القومية مع الحركة الشيوعية او الاشتراكية فتبث القومية الاعتدال فـي الشيوعية او الاشتراكية بينما تحفز الشيوعية او الاشتراكية الحركـــة القومية الى الاصلاح الاجتماعي.»

وبجيب موند :

« وفي الوقت نفسه تنشط كل منهما الاخرى » .

نهرو : « نعم »

وهنا لا بد من التعليق على الفقرة الاخيرة من هذه المحادثة بالقول ان الحزب الشيوعي لا يتعاون مع اي هيئة او تيار ـ وهذا ما اتضح لنا بقوة وبصورة رئيسية في العراق ـ الا بالمقدار الذي يكفل له مصلحته الحزبية فقط دون اعتبار للاهداف الحقيقية الاساسية للمجتمع . ولا يستوحي سياسته من واقع امته بل من الخارج . كذلك يجب عـدم الفصل بأي حال من الاحوال بين الحركة القومية ومحتواها المثـــالي الاجتماعي والاشتراكي والا فانها قد تنقلب في اي لحظة الى نظرة ضيقة وخطرة .

ان نهرو كان متفائلا جدا بالنسبة لعلاقة الاحزاب الشيوعية وتعاونهـا مع العناصر والهيئات الوطنية والقومية ، الا ان العرب الان لا يمكنـهم ان يتفاءلوا ولا حتى ان يقبلوا تعاون العناصر التقدمية معهم بل لقد ظهر بوضوح انهم اول الاعداء لتلك العناصر .

ـ ٣ ـ

في المحادثتين السابقتين اتضحت معالم شخصية نهرو واصولها ثـم منهجه السياسي واسلوبه في الحكم ، اما هذه المحادثة الثالثة فهي علـى اهمية كبيرة نظرا لانها توضح بعض الافكار الرئيسية الانسانية والتـي ترتبط الى حد كبير باسم نهرو وباندنغ: الحياد ، منطقـة السـلام والتعايش ، ومسألة المساعدات الخارجية .

تيبور موند :

« .. اننا نستطيع ان نبدأ بفكرة الحياد ، ان الحياد يرجع الـــى

صدر حديثا

حاوية شرف !

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

دار الآداب ـ بيروت

الرغبة في عدم الانجرار الى درك الدمار بواسطة حرب ذرية ... وهذا رأي متفق عليه عموما عندما يفسر الدافع الى الحياد ، ولكننا يجب ان نوفق هنا بين رأيين متخالفين : اولا الرأي القائل ان سلامة الدولة المحايدة تتوقف على ثقتها في لاعدوانية الدول القوية على اساس التسليم بأن عددا محدودا من الدول الصناعية يستطيع اليوم ان يخوض حربا ذرية .

« وثانيا الرأي القائل ان الضرورة الحتمية الاخلاقية توجب على الفرد او البلد ان يدافع عن معتقداته في عصرنا الحاضر عصر الخلافات العقائدية الحادة .»

نهرو :

« لا يحق لاحد ما اطلاقا بان يقول بأنه لا يمكن ان يكون في العالم الا عقيدتان احداهما تمثلها روسيا الشيوعية والثانية تمثلها بعض دول الغرب. فالقول بذلك هو تقييد شديد تعسفي لقدرة الفكر الانساني وقدرة الفعل الانساني ، صحيح ان العقيدتين المشار اليهما تهيمنان على عالم اليوم وتتصادمان مع بعضهما بعضا ولعل السبب في ذلك هو ان قوة عسكرية واقتصادية هائلة تكمن وراء كل من العقيدتين ، فما يسيطر ليس في الواقع العقيدة وانما هو القوة التي تكمن وراء العقيدة .. ويجب التسليم على ضوء التطور الذري بان الحرب خليقة بأن تؤدي الى كارثة عامة تصيب البشرية فان الحرب لا تكون حلا للمشكلة بل ان من شأنها ان تزيدها خطورة ، اما فيما يتعلق بالهند ـ وهنا يجب ان أشير بان كلامي ربما ينطبق الى حد ما على بعض دول آسيا ـ فيجب الحكم علينا على اساس ماضينا ، ان ماضينا هو نسيج من النضال من اجل الحريات السياسية ومن اجل الحرية الاقتصادية ومن آجل تحقيق امكانياتنا ومن اجل تأمين أن نحيا وفق خصائصنا ووفق تفكيرنا .»

ثم يمضي نهرو في دفاعه عن فكرة الحياد وامكانيتها ليس على اساس ضمان هذا الحياد من الدول الكبرى ـ فعند وقوع الحرب لا قيمة لضمان من هذا النوع ـ بل على اساس قدرة المحايد على مجابهة العدوان بالقوة ومساهمة بحياده وعدم انجراره الى الحرب الباردة في تخفيف التوتر الدولي الذي يجر الى الحرب وفي انتشار الايمان في الرأي العام العالمي بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى .

نهرو :

« وكنا ترى فان وجهة نظرنا هذه تختلف اختلافا بينا عن وجهة النظر الشيوعية مثلا كما انها تختلف عن وجهة النظر الامريكية ، ولست ادري لماذا يريدون اجبارنا على الاختيار بين هاتين الوجهتين المتعارضتين او على قبول هذه العقيدة او تلك فنحن لا نفكر كالروس كما لا نفكر كالامريكيين.

« لنرجع الى موضوع الضمانات ، الضمانة يجب ان تكون ضمانة بتجنب الحرب وافضل من ذلك ان تكون ضمانة تتعهد بها الدول بتجنب التدخل في شؤون الدول الاخرى لان التدخل يهدد دوما باثارة الحرب وعلى الاقل يهدد قطعا باثارة العداء بين الامم » .

هذا بالنسبة للحياد . واما بالنسبة لوجود منطقة للسلام وامكان التعايش السلمي ، فان نهرو يؤمن بجدواهما واحتمالهما ، وتجدر الاشارة هنا انه بالنسبة للشعب العربي لا يمكن ان يفهم السلام الا ان يكون على اساس الحصول اولا على المطالب القومية المشروعة في الوحدة والتحرر، فلا معنى للسلام مع وجود الاستعمار والتجزئة والتبعية والتحكم الاجتماعي والدولي .

تيبور موند :

« لنتحدث عن منطقة السلام واذا ما كانت ذاكرتي تسعفني فان التفسير الصحيح لهذا التعبير هو ان « منطقة السلام » قررت دولها الا تزيد من اسباب التوتر السياسي القائم في العالم حاليا ، ولكن منطق دول السلام يلقى اعتراضات معينة من وجهة النظر الغربية التي تقول ان هذه الدول لا تفعل شيئا سوى انها تلقي عبء التسلح على كاهل الدول الكبرى المحكوم عليها بان تحافظ على التوازن في العالم المعاصر » .

نهرو :

« هذا ما يقال دوما ولكنني لا اعتقد بان مساهمة هذه الدول المحايدة خليقة بان تخفف اعباء الدول الكبرى من الناحية العسكرية اذا استمر الخلاف العقائدي واستمرت الحرب الباردة بين المعسكرين . ذلك ان ما يخفف العبء عن جميع الدول العظمى وعن كاهل دافع الضرائب فيها هو تخفيف التوتر ، وهكذا فان دول منطقة السلام تقوم او تحاول القيام بعمل هام للغاية اذ تبذل جهودها لتخفيف التوتر الدولي الذي يؤدي الى تخفيف عبء التسلح» .

موند :

« في حديثنا عن السلام قارنا مشكلة فعالية المنظمات الدولية في الحفاظ عليه .. هل تعتقد يا سيادة الرئيس بامكان اناطة مهمة تحقيق الاماني والمطالب المشروعة بمنظماتنا واجهزتنا الدولية القائمة ؟ وهل باتت هذه المنظمات مهيأة للقيام بذلك ؟ »

نهرو :

« اعتقد انها تتهيأ ببطء ولكنها تسير نحو ذلك حثيثا ، لا اقول انها في مستوى الخطر ، ولكنها تستطيع ان تعرقله وتستطيع ان تكبح جماح الناس وتترك لهم فرصة التفكير وهذه مزية مفيدة للعالم ، انني لا اشك قطعا بان منظمة الامم المتحدة ـ مهما كانت ضعيفة الفعالية في تنفيذ قراراتها ـ هي عامل من عوامل السلام في العالم ... وهي تستطيع ان تكون عاملا متزايد القوة الان ، هذا التطور يتوقف في الواقع على تطور الرأي العام .»

وسياسة نهرو ازاء المساعدات الخارجية واضحة كل الوضوح اذ يعتقد انها ضرورية ولكن على ان تكون بشكل محدود وذلك لكيلا يتسرب الى ذهن الشعب انه يحرز تقدمه بالاعتماد على الاخرين ، بالاضافة الى ان المساعدات اذا تضخمت فقد تخل اخلالا كبيرا باقتصاديات البلاد المتأخرة ، هذا مع ملاحظة ان المساعدات الخارجية غالبا ما تكون مشروطة ومتجهة الى النواحي العسكرية وانشاء القواعد .

يطرح تيبور موند القضية على الشكل التالي :

« ... انه اذا كان للهند ان تسجل تقدما اقتصاديا سريعا وهو بالطبع ما تريده فان عليها اما ان تفرض على شعبها تضحيات جسيمة ، أو ان تحصل على مساعدة خارجية كبرى ».

نهرو :

« اننا بالطبع نريد المساعدات ولكن قد تتعجب اذا قلت لك اننا لا نريد ان نترك المجال لشعبنا كيما يعتقد بان الاخرين هم الذين سيوصلون الهند الى مكانها اللائق ، ان هذا الاعتقاد يؤلف ما ادعوه بالمعنوية الرديئة بالتكوين النفساني السيء ، فعلى الهنود ان يبنوا كيانهم بذاتهم وان يشعروا انهم اذ يدافعون عن حريتهم فانما يدافعون عن اشياء ثمينة في حياتهم اتاحتها لهم تلك الحرية ... انه من المأمول قطعا ان تقوم الدول ذات المصادر والثروات الاقتصادية العظيمة بمساعدة المناطق المتخلفة على تحسين احوالها المادية والاستفادة من مصادر ثرواتها القومية ، وانه في مستطاع تلك الدول الفنية ان تفعل ذلك بسهولة لو خصصت لهذه

الغاية شطرا من المبالغ الطائلة التي تخصصها للانفاق على التسلح . »

ـ ٤ ـ

كانت المحادثات الثلاث السابقة تبحث في اصول ومبادىء وجهة نظر نهرو الفكرية والسياسية وارائه بوجه عام ، اما المحادثة الرابعة فهي دراسة لبعض مشاكل الهند ومنجزاتها على ضوء تلك المباديء ، ومدى التقدم الذي احرزته في المجال العملي والصعوبات التي تعترضها .

هناك مشكلة الاعتماد على « الثورة التشريعية » والقواعد الديموقراطية، للوصول الى الاهداف بالسرعة المطلوبة ، ذلك الاعتماد الذي رأينا نهرو يؤيده فيما سبق .

سأل موند :

« لقد أكدت ياسيادة الرئيس في مناسبات عدة بان الهند مصممة على ان تحيا احداثها الحتمية وان تمر عبرها مرتكزة الى قواعد الديموقراطية البرلمانية اي ان حياة الهند ستكون بمثابة « ثورة تشريعية » الا ان هذا يفرض بالنسبة للمراقب الاجنبي سؤالا جوهريا هو : هل يمكن للتشريع ان يحقق بالسرعة المطلوبة الرغبة في التقدم وهل يمكن ان يساير الاحتياجات الاجتماعية ويمضي معها ؟ »

ويسأل مرة اخرى : « لمن الاسبقية ؟ للتكوين الديموقراطي ام للنمو الاقتصادي ؟ وهل يكون بناء الكيان الديمقراطي مرتبطا بتحقيق الاهداف الاقتصادية لمشروع السنوات الخمس ام ان لاهداف الكيان الديموقراطي الكلمة العليا والمقام المتقدم ؟ »

ويجيب نهرو :

« ان اخضاع الكيان الديمقراطي لاي شيء وربطه بأي شيء بمثابة التخلي عنه ، اما والحالة هذه فانني لا ارى اي احتمال بامكان تخلينا عن الكيان الديموقراطي فهذا ما لا نرغب فيه ، وفي تقديري اننا نستطيع ان نمضي بعيدا في تحقيق امانينا واهدافنا ضمن النطاق الديموقراطي وقد يتعرض سعينا احيانا لبعض العراقيل الا اننا مجبرون على قبول هذه العراقيل .

خذ مثلا ناحية الاصلاح الزراعي . لقد تأخرنا في تنفيذه ولم يكن السبب في ذلك الكيان الديموقراطي بالذات اي ان البرلمان لم يكن مسؤولا عن هذا التأخر ، انما كانت المحاكم هي المسؤولة بالنظر لكونها تتمتع باستقلال تام جعل احكامها تعرقل تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي مما تطلب بعض الوقت كيما نعدل الدستور الهندي لنتغلب على تلك العراقيل التي نجحنا اخيرا في التغلب عليها . »

وفي الهند مشكلة وجود الاكثرية الساحقة من السكان في الارياف والذين يتوزعون على خمسمئة الف قرية ، اذ يجب عدم اهمالهم بالنهوض فقط بالمدن كما حدث احيانا في بعض الدول كالبرازيل مثلا وفي هذا يقول نهرو :

« ان حصر الجهود بتحسين احوال سكان المدن واغفال الريف امر لا يمكن ان يطول وربما حدث مثل هذا الاهمال في الماضي عندنا ولكنه بات اليوم عسيرا ففي برلماناتنا ومجالسنا التشريعية في الولايات عدد كبير من ممثلي المناطق الريفية المجبرين على ان يعيروا ناخبيهم اذانا صاغية هذا بالاضافة الى ان الضغط الناشيء عن الريف الهندي هو ضغط هائل... »

وهناك قضية تلفت النظر بالنسبة للهند ، فكثيرا ما يشاع عنهم انهم قوم يتعلقون « بالروحانيات » ولا يبدون كثيرا من الاهتمام فيما يتعلق بالتقدم الكلي والمادي.

يسأل موند :

« هل صحيح ما يقال ان الهنود وهم شعب « متعلق بالروحانيات » وبالتالي هم اقل اهتماما بالتقدم المادي من بقية الشعوب ».

نهرو :

« لا أقول ان الهنود هم « أكثر تعلقا بالروحانية » ولكنني اقول ان المجتمع الجامد هو الذي يكثر من الكلام عما يدعى بالروحانيات ... ولكن الهنود ظلوا على العموم يحترمون الفضائل اكثر مما يحترمون الثروة ولكن ذلك لا ينفي الرغبة العامة في التقدم المادي » .

ويثير تيبور موند مشكلة احتمال انقسام الحزب الحاكم الذي يرأسه نهرو

« ان كثيرين من الناس في الهند وكذلك بعض المراقبين الاجانب مقتنعون بان حزب المؤتمر الكثير الاعضاء المتعدد العناصر سينقسم ، في ظل بعض الظروف وخاصة اذا حرم من زعامتك ، الى نزعتين متنائيتين او الى جناح ايسر يهتم بالمشاكل الاجتماعية وجناح ايمن ويتالف من العناصر التقليدية الشديدة المحافظة».

نهرو :

« صحيح ان هناك نزعة جمودية رجعية ولكن لا تنس ان حزب المؤتمر قد تبنى رغم كل ذلك هدف اقامة مجتمع ذي طابع اشتراكي وغير ذلك من الاصلاحات الثورية مما جعل الحزب اليوم اقوى مما كان عليه في اي يوم مضى منذ احرزت الهند استقلالها فهناك عدد كبير من الناس يعملون لتحقيق هذا الهدف ،ان التاريخ يقيم الدليل على ان المنظمة التي تمتلك من القوة ما يمكنها من تحمل صدمة تمرد بعض عناصرها على اهدافها تخسر قليلا من العناصر ، ولكنها تعوض عنها بعناصر اكثر عددا او اقوى.»

ويسأل موند نهرو عن مستقبل اسيا :

« اريد ان اسألك بصفتك احد المهندسين الرئيسيين لاسيا الجديدة عن الصورة التي كونتها لهذه القارة الجبارة التي تتحرك منذ عشرين او

صدر حديثا

الخندق العميق

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة أسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الاداب ـ بيروت

خمسة وعشرين عاما .

نهرو :

« اعتقد بان اسيا لن تتغير كثيرا سياسيا ، الا انها ستتطور وتنمو من الناحية الصناعية وستتصنع بعض مناطقها بشكل اوسع نطاقا من المناطق الاخرى وسيؤدي ذلك على العموم الى رفع مستوى الحياة الاسيوية، واعتقد مدفوعا باسباب عدة بان اسيا ستكون للسلم اكثر جنوحا منها للحرب .. ولهذا فلا بد ان تصبح آسيا قوة من قوى السلم والتعاون في العالم ».

ثم اختتم نهرو تلك المحاورات بهذه الحكمة :

« قد لا نسطيع دائما ان نعرف ما هو الخير ولكننا نستطيع دائما ، ان نعرف ، ما هو شر دائما ، وهكذا لنتجنب الشر لنتجنب بالتالي بعض العواقب الوخيمة . »

ولو قد اخلصت قلوب البشر لهذه الحكمة لكان فيها الخلاص لهم ، ولتجنبوا كثيرا من الكوارث ، ولتخلصوا من القلق ، القلق على مصير الانسان ، ومن توقع الكارثة في كل آن.

الحفة (الاقليم الشمالي) **احمد مدنية**

ذات الخال

تاليف عدنان الداعوق

مجموعة قصص ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة ـ ١٩٢ ص

*

لعل اكثر مايسترعي الانتباه في ادباء الشهباء ان ادب القصة يستهوي عددا منهم كبيرا ، ويكاد معظم نتاجهم الادبي ان يكون قصصا . وان من حلب لمع اول كاتب قصصي ناجح في سورية هو الدكتور شكيب الجابري ، ثم سارت على دربه ـ فيما يحضرني في مقامي الان من اسماء ـ قافلة طويلة من الكتاب منهم : مظفر سلطان وصباح محي الدين وعبد الوهاب الصابوني وعبد الرحمن جبير وجورج سالم ونهاد رضا وعلي بدور وعدنان الداعوق ومحمد التونجي وعبد الرحمن البيك وجورج طرابيشي وفاضل ضياء وبدر الدين الحاضري وممتوح مولود وكاتب هذه السطور، وغيرهم، على تفاوت فيما بينهم في مضمار النجاح تبعا للثقافة والموهبة ومعاناة التجربة القصصية الاصيلة ... بل ان اثنين من اكبر ادباء الشهباء يكتبان القصة على اسلوب ما ، هما سامي الكيالي وخليل الهنداوي .

وعدنان الداعوق ، صاحب « ذات الخال » ، شاب اديب وقف على القصة كل ميله فاخلص لها كما تخلص القلة من الادباء ، ويكاد يستبين له مطلع الطريق المؤدية الى غايته التي يتطلع اليها باذلا في سبيلها الجهد والمشقة والعناء .

ولقد اندفع منذ سنين الى نشر اقاصيصه في مختلف المجلات ، تحدو به رغبة عارمة في ان يقرأ الناس نتاجه الذي يسهر في مخاضه الليالي . وكان ان تجمعت لديه مجموعة من القصص كاملة دفعها في كتاب اول سماه « ذات الخال » ، واحبب به من عنوان جذاب خلاب .

ان الاديب الداعوق قد شبع ، فيما يخيل الي ، ثناء نثره عليه واضع مقدمة كتابه الاديب المهجري الاستاذ نظير زيتون . لقد قال فيه قولا جميلا سخيا .. حتى لقد داخلني وانا اقرأ هذا القول الجميل ، شعور بالخوف من ان يأخذ القاص الغرور فيحسب ان قد غدا « زهرة » متفتحة ناضرة تفوح عطرا وهو « البرعم » لما يزل ! ...

يقول الاستاذ نظير زيتون : « وكان عدنان الداعوق ، يغمس براعته في قوس قزح ، ويجري بها بين جد ومرح ، واسى وفرح ، راسما دقائق الانفعالات النفسانية ، والاحاسيس البشرية ، والنبضات الخفية والعلنية .... » ، وانه « ذلك الفنان المبدع الذي يعبق في جوه ذلك الشذا الرخي الناعم ، وتتألق تلك الصور الهادئة الرصينة الوادعة ... » وقد « يخيل اليك وانت تطالع اقاصيصه وما تحويه من عمق الدراسة والتجربة وحسن السبك وبراعة الموضوع ، انه من اولئك الخمسينيين او الستينيين الذين وخط شيب الحياة مفارقهم ... غير انك لاتلبث ان تعجب اشد العجب عندما تعلم انه لايزال في أواسط عقده الثالث .. »(١)

وللثناء ، يسخو به الادباء الشيوخ على الادباء الشباب ، بعض النتائج الحسنة فيما اظن . ولكن قولة الحق الصريحة الواضحة ، يهمس بها في اذن الاديب الشاب ، لتعطي النتائج الحسنة على وجه طيب ايضا .

ان هذا الكتاب ، بقصصه الاربع عشرة ، محاولة اولية لقاص ناشيء . واني ممن يقولون بالاتئاد في نشر الشباب كتبهم . ان على الاديب الناشيء ان يطالع في مثابرة ، وان يكتب في صمت ماتوحي اليه به تجاربه النفسية ويطويه الى حين ... فاذا احس باستواء النفس الادبي لديه ـ ان يحس به غيره لا هو ، فرأي الاديب بذاته قاصر وقاما يتخذ سيماء التجرد ! ـ كان له ان يطل على قراء المجلات اولا لفترة من الزمن ... حتى اذا استقام نفسه وغدا اكثر استواء ، اطل على الدنيا بكتاب اول وثان وثالث يكون للناس فيها رأي ...

فهل وصل الاديب الشاب عدنان الداعوق الى مرحلة اصدار كتاب ؟

الداعوق برغم من براعم القصة ، وقلمه مازال غضا لينا ، ومواضيع قصصه ماتزال تلك التي ترود خيال الفتى المراهق ، فهي غرامية عاطفية موغلة ، تعالج في اسلوب لايخلو من افتعال وقد ينأى عنه « الصدق الفني » في بعض الاحيان .

ولئلا اكون ظالما للاديب الداعوق ، فاني مقدم الحساب بين يديه والقراء شهود عدل .

ثلثا الكتاب قصص حب وغرام ، فيها لوعة وانين ودموع وحب يائس لا نعلم كيف بدأ ولا كيف ينتهي ... والثلث الباقي انساني جميل المعنى ولكن اين الاسلوب القصصي يغلف جمال المعنى فيسمو به الى مراتب الابداع ؟

« القلوب عند بعضها » و « بسيمة » و « حفنة من تراب » و « التمثال » و « عندما يخطىء الحب » و « ذات الخال ، قصص في المجموعة تقرأها فتغرق في خضم العواطف الهاطلة الغامرة ، ولكنك لاتنفعل بها او تحس باي تجاوب بينك وبين الابطال والاحداث .

هات « عندما يخطىء الحب » (٢) : الفتى في سيارته يصعد الجبل الى المصيف . تمر به سيارة مسرعة تقودها فتاة فتستهويه ، ويلقاها في الحفلة التي تقام في الفندق ، فيستأذنها في رقصة . ثم يكون بينهما اتفاق على ان يقوما بسباق في سيارتيهما ، فيسبقها . ثم « تمضي ايام

(١) مقدمة الكتاب .

(٢) الكتاب : الصفحة ١١١ .

(٣) هكذا ، مرة واحدة !

(٤) لماذا ؟

جميلة حلوة . واقول لها ذات مساء « احبك » (٣) وألمس ذراعهـــا فأجدها باردة كقطعة الجليد (٤) ، واقترب من شفتيها لاسمعها تهمس في آهة محبوسة « احبك » وتقترب بيننا القبلة حتى تكاد انفاسنـــا تحرقنا .. ثم اجدها فجأة تهرع هاربة من بين ذراعي وتختفي » . وتصارحه بعد ايام : « انني زوجة لرجل كريم النفس طيب القلب غاب في بعثـــة حكومية سنوات ... وانا احب زوجي واخلص للعهد الذي بيننا » .

لقد قلت قبل قليل ان من مواضيع قصصه مايرود خيالات الفتيـــان ، فهل بعدت عن الحقيقة كثيـــرا ؟

هات اخرى : « القلوب عند بعضها » (٥) : موزع البريد يحب على غير طائل صبية رائعة الجمال ابنة لتاجر ، ويحرص على الا يسلم بريـد الاب يوميا الا الى البنت في منزلها لا الى الاب في متجره المجاور (٦) . ثم « تشاء الظروف اان ينتقل ادهم (٧) من توزيعه في عمله ! من تلـك المنطقة التي تقيم فيها وصال (٨) الى منطقة اخرى ، وتفصله عنهـــا مسافة بعيدة .. وينقطع عنها بالرغم من حبه لها وجنونه بها ... »

على اننا لانعدم في المجموعة قصصا ليست من هذا القبيل . ان « ابو صادق » و « أعمى » و « العم عزيز » و « بلا عنوان » و « عشرةقروش» قصص انسانية كانت تعد موفقة لو حالفها المزيد من الصدق الفني ومـن الاتساق في السرد والمعالجة .

ان قصة « ابو صادق » (٩) تصور آذن المدرسة الذي يتصدق عليه احد تلاميذ مدرسته ببذلة ابيه المرحوم ، ولكن الموت يتعجله فيموت قبل ان يهنأ بلباسها . فكرة انسانية طيبة ، ولكن يجرحها قصور المعالجة . فآذن المدرسة يمكن ان يعد في زمرة الفقراء ، ولكنه لايوضع في زمـرة المعدمين الذين تظهر على وجوههم « تجعدات واخاديد كل منها يحكي سنه امضاها في الفاقة والجوع والحرمان » .. فهل هو لايملك عملا قـــط حتى يكون على هذه الشاكلة من العوز ؟ ولماذا يتكلم « في ذل وانكسار » وتهطل من عينيه الدموع ؟

وتحكي قصة « عشرة قروش » (١٠) مشكلة طفل فقير يعثر علـــى قطعة فضية من ذات العشرة قروش (١١) ، ولطالما حلم بها ليشتـري « اصبع بسكر ؟ » وهو الفقير المحروم .. ولكنه يفضل في الاخير ان يمنح لقيته الى شحاذ عجوز في الحارة . فكرة نبيلة المعنى . ولقـــد كان ينبغي ليتقبل القارىء صنيع الطفل بارتياح وتصديق ، ان يرهص المؤلف الارهاص الوافي لهذه النهاية التي تصدر عن طفل محروم بسهولة .

وثمة قصة ارتكزت على مفهوم خاطىء ، هـي القصـة التي وسمت بـ « فتحية » (١٢) . زوج يضيق بحرص زوجته عليه ورعايتها له ، فيزهد بها وبحنانها وعطفها لا سيما عندما « تزعج اذنه بعبارتها الرتيبة : لا تتاخر ياحبيبي » . ويهرب الى المقهى ، فيلتقي بصديق الطفولة « فريد» الذي يقرأ في محيا صديقه سيماء الكآبة ، فيسأله عما به ، فيتـــردد في الاجابة فيتهمه فريد بانه خفته به اذن قد تغيرت خلال الفترة البعيـدة التي لم يلتقيا بها ! فيقول الزوج : (١٣) ، وهنا يحكي « مأساته » ، فيجد لدى صاحبه الحل السريع الحاسم : عليك ان تعامل زوجتـــك بمنتهى الحكمة وبمنتهى القسوة ، فاللين والمرأة ضدان لايجتمعـــان ، لتكون اسعد زوج في الدنيا !! ويعود الزوج الى البيت ليصيح بزوجتـه فيرعبها ، فتلين وتهمس في منتهى الرقة : « امرك فانت السيد المطاع » ، وتغدو قطة اليفة بين يديه !!

اما الوحدة الزمنية ، فتكاد تكون معدومة في المجموعة كلهـــا . ان الاحداث في كل قصة تسرح في مجالها الزمني كيفما اتفق لها وللمؤلف ، فيمتد الزمن شهرا او سنة او سنوات ، فتجيء القصص كل منها اقـرب الى الرواية المخطوفة منها الى الاقصوصة بسماتها الفنية المتعارف عليها .

ولعل خرق هذا المبدأ « الاقصوصي » ـ ان جاز التعبير ـ يتجلى بشكل تام واضح في قصة « بلا عنوان » (١٤) ، فهي رواية ملخصة : في اول ايام يصبح لـ « رامز » حذاء جديد . نفهم ان عمره اربعة عشـر عاما ، وان اباه عجوز قعيد البيت ، وامه شابة جميلة رشيقة تحثه على ان يكون رجلا كما كان ابوه من قبل ان يقعد في البيت ... وتمر ايـام ويحاول رامز العمل فلا يفلح ... وتمر سنون ، فيدخل الحياة « مـن باب صغير جدا ، وبدأت احقق لنفسي ماأصبو اليه وانشده » و « لمع » اسمي ونجحت بعد صبر وطول اناة ... واذا انا اليوم في مرحلـــة يحسدني عليها من قضوا معظم حياتهم في الاعمال والتجارات الواسعة ، وصار يشار الي في المهمات الجليلة والقضايا المستعصية » .

على ان الوحدة الزمنية المتقاصرة ، تتجلى في قصة « اعمى » (١٥) فقد برئت من هذا العيب الزمني ، وان غض من جمالها امور اخرى .

اما لغة الكتاب فلا غبار عليها ، وديباجته سليمة بالاجمال . وان ذلـك بالاضافة الى اندفاع المؤلف الى الكتابة المتواصلة ، لحقيق ان يقوداه الى غايته المنشودة . وايا ماكان فان « ذات الخال » محاولة اولية لعدنـان الداعوق يمكن ان تعتبر موفقة لاديب شاب يتطلع الى الامام .

درعا (الاقليم السوري) **فاضل السباعي**

(٥) الصفحـة ٣١ .

(٦) نريد ان نتساءل : أليس المفروض ان يكون للصبية مدرســـة تمضي فيها نهارها بدلا من ان تظل في البيت تستقبل رسائل ابيها يحملها المـــوزع كل يـوم ؟

(٧) مـوزع البريد .

(٨) الصبية المحبوبـة .

(٩) الصفحـــة ١٩ .

(١٠) الصفحة ١٥٧ .

(١١) من المعلوم ان القطعة ذات العشرة القروش في الاقليم السوري من النيكل ، لا مـن الفضـة .

(١٢) الصفحـــة ٧٩ .

(١٣) نلاحظ ان المؤلف يكثر من ايراد العبارات العاطفية المغرقـة حتى بين الابطال من الجنس الواحد !

(١٤) الصفحـة ١٢٣ .

(١٥) الصفحـة ٦٧ .

اطلب ((الآداب))

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحـدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء